

محاضرات مقياس الأدب الشعبي الجزائري

السنة الثانية ماستر أدب جزائري

الأستاذ: رشيد جقريف

المحاضرة 05 الحكاية الشعبية الجزائرية

تمهيد: يرى كثير من الباحثين أن هذا النوع الشعبي ينقسم في حد ذاته إلى أنواع ثانوية وذلك تبعا لاعتبارات وخصائص تميز كل نوع عن الآخر أولها طبيعة الشخصيات داخل الحكاية وثانيها مدى اعتماد الحكواتي أو القصاص أو الحكاية على الخيال والخرافة والعجائبية في الأحداث والزمان والمكان وكذلك بالنسبة لطبيعة الموضوعات التي تعالجها كل حكاية، لذلك فقد قسم بعضهم الحكاية الشعبية إلى نوعين:

* حكاية شعبية (conte populaire) أو الحكاية الشعبية الواقعية.

* حكاية شعبية خرافية (conte merveilleux) وغيرها من المصطلحات التي راجت واستعملت في هذا النوع كالحكاية العجيبة، الخارقة، حكاية الغيلان... وغيرها من المصطلحات.

وأضاف بعضهم نوع آخر يتفرع من نوع الحكاية الخرافية وهو «الفابولا» (Fabola) أو حكاية الحيوان أو الخرافة الرمزية.

1/ الحكاية الشعبية الواقعية:

من بين التعاريف التي تطرقت للحكاية الشعبية: «شكل أدبي شعبي قصصي من نسج المخيلة الشعبية وإبداعها، مما يتصل بحياة الشعب أو الجماعة الشعبية وواقعها المعاش (الاجتماعي، الاقتصادي، الثقافي، الفكري، الأخلاقي، السياسي...)»⁽¹⁾ فيعرض لظواهره ومشاكله وقضاياها بأسلوب أدبي جميل ولغة شعبية بسيطة عرفها «عبد الحميد بورايو» بقوله «الحكاية الشعبية شكل قصصي يتخذ مادته من الواقع النفسي والاجتماعي الذي يعيشه

الشعب، وقد دفع تنوع موضوعاتها الباحثين إلى استخراج عدة أنواع منها، ففرّعوا عنها حكايات الواقع الاجتماعي والحياة اليومية...»⁽²⁾

2/ موضوعاتها وأنواعها

2-1/ حكايات الواقع التاريخي:

وهي كثيرة ومتنوعة ويمكن أن تُدرج في هذا الباب قصص البطولة الشعبية التي تتفرع عن نوع آخر من القص الشعبي الذي يعرف بالمغازي والذي ظهر مع الفتح العربي الإسلامي لشمال إفريقيا وتطور واستمر مع الاحتلال الفرنسي للجزائر، حيث كان الرواة يروون البطولات الثورية والمعارك والحروب التي عرفت الجزائر أو مناطق أخرى مجاورة وإن كانت تمزج في بعض الأحيان الواقع التاريخي بما هو خيالي.

2-2/ حكايات الواقع الاجتماعي:

وهي حكايات تصور بدقة حالة المجتمع وما يسود فيه من أوضاع اجتماعية من المشاكل والعلاقات الاجتماعية المختلفة وتتعرض لمشاكل الفقر والحرمان وشظف العيش وطرائق الناس في كسب رزقهم والاحتيايل على بعضهم كما تصور حالة الأسرة الجزائرية وطريقة عيشها من هذا النوع نموذج الأب الأرمل صاحب العيال، أو الأب وزوجة الأب الشريرة، أو الزوج والضرتان.

2-3/ حكايات الواقع السياسي:

وفي هذا الصدد لا يسعنا إلا الإشارة لما قالته الباحثة الجزائرية ليلي روزلين قريش «إن القصة الشعبية الجزائرية قد ملأت فراغا كبيرا في الحياة الأدبية والثقافية والاجتماعية لدى عامة الشعب -خاصة أواخر القرن الماضي وأوائل القرن الحالي- حيث عمل الاستعمار وبكل قواه على مطاردة اللغة العربية ومحاولة القضاء عليها، وكان أن انزوى الأدب الرسمي

وانحصر في فئة معينة هي التي تلقت تعليما عربيا دينيا في الغالب فكان أدبا ضعيفا يتبادل موضوعات بعيدة عن اهتمام الشعب وعن قضايا ومشاكله، وهنا برز دور الأدب الشعبي - ولاسيما القصة- في مخاطبة الشعب بلغة يفهمها وفي معالجة موضوعات تمس صميم حياته وتثير كامن مشاعره وتلهب حماسه»⁽³⁾

كما أشار عبد الحميد بورايو إلى هذه القضية منبها بالدور الفعال الذي قام به هذا النوع من القصص الشعبي ومن خطورة البلغة دفعت فرنسا إلى تتبع أخبار حامله وتضييق عليهم الخناق، حيث قال «وقد تنبّهت السلطة الفرنسية لما تمثله هذه القصص من خطر على كيانها، وما تؤدي من دور في إيقاظ الروح الوطنية وغرس مبادئ المقاومة والثورة في نفوس الناس، فراحت تضيق الخناق على حملته وتقرض عليهم الرقابة وتحاسبهم على ما كانوا يؤدونه، وقد حدّث المداخون الباحثون عما كانوا يتعرضون له من مضايقات أثناء الاحتلال مما دفع بعضهم للجوء إلى تونس وعرض بعضهم الآخر نفسه على الإيقاف والمنع من مزاوله الهواية»⁽⁴⁾

2-4/ حكايات الواقع الأخلاقي:

حكايات هذا النوع عديدة ومتنوعة، منها ما يتعلق بأخلاق الزوجة، ومنها ما يتعلق بأخلاق الأم، ومنها ما يصف الواقع الأخلاقي العام للمجتمع ككل، ومنه ما يعالج قضايا الأسرة الواحدة ومحيطها، فتبادل موضوعات الصدق والكذب، والوفاء والغدر والخيانة، وعن القناعة الطمع، والعدل والجور، والحكمة والشجاعة، والتهور والجبن وغيرها من الأخلاق الإنسانية.

3/ خصائص الحكاية الشعبية:

- التداول الشفاهي لها بين الناس والتوارث عبر الأجيال.
- الجهل بالمؤلف فهي من إبداع المخيلة الشعبية الجماعية.
- لغتها هي اللهجة المشتركة بين جميع أفراد الشعب أو الجماعة الشعبية.
- من حيث الشكل هي قصة مكتملة الأركان لها بداية ووسط ونهاية وشخصيات وعقدة وحبكة وما إلى ذلك تصاغ في قالب نثري؛ تتخلله في بعض الأحيان فنون شعبية أخرى كالأغاني الشعبية، والشعر الشعبي، والأغاز.

- من حيث الأسلوب تتميز الحكاية الشعبية ببساطة الألفاظ وسلامة العبارات والبعد عن التكلف (زخرفة الكلام وتنميته) إذا ما قورنت بالحكاية الخرافية والسير الشعبية والمغازي والأشكال الشعبية القصيرة الأخرى كالأمثال والألغاز.

الهوامش:

- (1) أمينة فزاري: مناهج دراسات الأدب الشعبي، دار الكتاب الحديث، الجزائر، ط1، 1431هـ-2010م، ص 96.
- (2) عبد الحميد بورايو: القصص الشعبي في منطقة بسكرة (دراسة ميدانية)، المؤسسة الوطنية للكتاب، ابن عكنون، الجزائر، 1986م، ص 118.
- (3) ليلي روزلين قريش: القصة الشعبية الجزائرية ذات الأصل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1980م، ص 215.
- (4) عبد الحميد بورايو: القصص الشعبي في منطقة بسكرة (دراسة ميدانية)، ص 57.